حكايات نبوية

٥

ففرّج عنّا ما نحن فيه !!

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

لقدْ وَقَعَ الاخْتِيارُ على (لمياء)!

في جلْسةٍ هادِئةٍ ضَمَّتْ (لمياء) ووالدَتَها.. مع خالَتِها (أمِّ علي) وَابْنَتِها (سَوْسن) دَارَ حَديثٌ مُسْتَفِيضٌ حولَ فَضَائِلِ الدُّعاءِ إلى اللهِ تعالى، ومَدَىٰ صِدْقِ التَّوجُّهِ إليهِ، والإِخْلاَصِ الذي يُحقِّقُ الفَوْزَ العَظِيمَ..

وقُبَيْلَ إحْضَارِ وَجْبَة العَشَاءِ قالتْ (أُمُّ علي): أنا أَقْتَرِحُ أنْ تَقومَ (لمياء) بِتَحْضِيْر حكايةٍ عن الدُّعاءِ..

وفُوجِئَتْ (لمياءُ) باقْتِراحِ خالَتِها.. ثمَّ قالتْ: لكنْ مِنْ أينَ لي أَنْ أَجِدَ حكايةً نَبَوِيَّةً عن ذلكَ الخُلُقِ الرَّفِيْع؟!

ابتسمتْ والدةُ (لمياء) وقالتْ: وماذا تَفْعَلِينَ في مَكْتبةِ والِدِك سَاعاتٍ وساعاتٍ إذاً؟

هزَّتْ (أمُّ علي) رَأْسَها وقالتْ: غداً سَأُبلِّغُ الآنسةَ (لُبْنَى) بِتَحْدِيدِ مَوْعِدٍ لك؛ لِتَقُومِي بإلقاءِ الحِكايَةِ على طَالباتِ المَعْهَدِ... وبإذنِ اللهِ سَتَكُونينَ مِنَ المُوَفَّقاتِ والفَائِزاتِ...

هَمْهَمَتْ (لَمياءُ) بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ ، ثُمَّ قالتْ: أَصْبَحتِ المَسْأَلةُ جِدِّيةً ، ولا مَناصَ من الالْتِزَامِ ، وخاصَّة إذا كانَ الأَمْرُ من آنِسَتِنا.. ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِالله تَعالى.

وبالفِعْلِ ، ما إنْ كان اليومُ الثَّاني حتّى قامتْ (أمُّ عليٍّ) بزيارةِ المَعْهدِ.. ولمَّا جَلَسَتْ مع الآنسةِ (لُبْنَى) اقْتَرَحَتْ عليها تَحْدِيْدَ مَوْعِدٍ للاسْتِماعِ إلى حِكايةِ (لمياء).. فهي طالبةٌ ذاتُ مُيولٍ أَدَبيَّةٍ ، ولها تجاربُ في هذا المَجَالِ..

وفَرِحَتِ الآنسةُ باقْتِراحِ (أمِّ علي) ... وطَلَبَتْ منها أن تُرافِقَها إلى مَكْتَبِ المُديرةِ (لُبابة) وهناك تَمَّ تَحْدِيْدُ الاتِّفاقِ على ما يلي:

عُنْوان الجلْسةِ: من الحِكاياتِ النَّبويَّةِ.

وَقْتُ الجَلْسَةِ: بَعْدَ عَصْرِ يومِ الجُمُعَةِ القادِمِ.

والدَّعوةُ خاصَّةٌ بطالِباتِ المَعهدِ، إضافةً إلى كُلِّ مَنْ تَرْغَبُ من أُمَّهاتِ وأَخَواتِ وأقارِبِ الطَّالِباتِ..

حقّاً إنه مَوْقِفٌ صَعْبٌ!!

وقُبَيْلَ أذانِ العَصْرِ تَوافَدَتِ الطَّالباتُ، والنِّساءُ، والفَتَياتُ إلى مَعْهَدِ تَحْفِيْظِ القُرآنِ الكَرِيْمِ..

وبعْدَ تَرْحِيْبٍ حارٍّ مِنْ قِبَلِ الآنِساتِ

وَالمُدِيرَةِ.. أَخَذَتْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَكانَها في قاعَةِ المُحَاضَرات ، ثم اتَّجَهْنَ بأَبْصَارِهِنَّ نحو المنصَّةِ...

وَفَجْأَةً دَخَلَتِ المُدِيْرَةُ (لُبابَةُ) مِنَ البابِ الخَلْفِيِّ.. ودَخَلَ وَراءها الآنسةُ (لبنى) ومعها الطالبةُ (لَمياء).

ثُمَّ وَقَفَتِ المُديرةُ ، فحَمِدَتِ اللهَ ، وأَثْنَتْ عليهِ.. ثمَّ تَحدَّثَتْ عن الفوائدِ الكَبِيْرَةِ من أَمْثَالِ هذا الاجْتِماعِ المُبارَكِ.. وتَمنَّتْ على كُلِّ واحِدةٍ أَنْ تُسَجِّلَ مُلاحَظَاتِها.. سواءً كانت نَقْدَاً أَوْ تَقرِيظاً ، ثُمَّ تُقَدِّمَها إلى إدَارَةِ المَعْهَدِ ، وذلكَ من أَجْلِ تَعْمِيْمِ الفَائِدَةِ على الجَمِيع..

ثُمَّ قَدَّمَتِ الطالبةُ (لَمْياءُ).. وأَثْنَتْ عَلَيها وعلى جُهُودِها في تَنْشِيْطِ حَرَكةِ المَعْهدِ.. ولكنَّها

أَكَّدَتْ أنَّ المَوْقِفَ صَعْبٌ.. فإذا لم يكنِ الإنسانُ أَهْلاً لذلكَ ، فَعَلَيْهِ أَنْ لا يَقْتَرِبَ مِن هذا الأَمْرِ أبداً..

بِدَايَةٌ مُوفَّقَةٌ..

هَمَسَتْ (أمُّ عليٍّ) لأُخْتِها لمياء قائلةً: حَقاً إنَّهُ مَوْقِفٌ عَصِيبٌ ، فأنا خائفةٌ على (لَمْياء)..

بَيْنَما كانتْ أمُّ لَمْياءَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْها ، وتَدْعو اللهَ لابْنَتِها بالتَّوفِيْقِ وحُسْنِ الإلْقاءِ والتَّمْكِين..

ووَقَفَتْ (لَمْياءُ) مكانَ المُدِيرةِ ، ثمَّ شَكَرَتْ إدارَةَ المَعْهَدِ ، ووَالِدَتِها ، والحُضُورَ ، ثمَّ قالتْ: أَصْدُقُكم القَوْلَ أنِّي أَمْضَيْتُ أياماً أُفَتِّشُ عن حِكايةٍ نَبَوِيَّةٍ أَنْقُلُها لكم؛ حتَّى عَثَرتُ على واحدةٍ في صَحيحِ البُخاري..

ومِحْورُ القِصَّةِ هُوَ الدُّعاءُ والتَّضَرُّعُ لله ، والتَّوسُّلُ بِصالحِ الأَعْمالِ ، والاعْتِمادُ المُطْلَقُ على خالقِ الكَوْنِ ، وهو سُبْحانَهُ..

فإذا وَجَدْتُمْ فِي الحِكايَةِ فائدةً ، فالفَضْلُ والمِنَّةُ للهِ سُبْحانَهُ.. وإلاَّ فَمَرَدُّ ذلك إلى الشَّيطانِ والنَّفْسِ الأَمّارَةِ بالسُّوءِ..

سَائلةً العَلِيَّ القَدِيْرَ أن يَغْفِرَ الزَّلاتِ والعُيوبَ..

في لَيْلَةٍ لَيْلاءَ!!

وراحَتْ (لَمياءُ) تَسْرِدُ الحِكايةَ[1]:

بَيْنَما كان ثلاثةٌ من الأَصْدِقاءِ يَسِيْرُونَ في صَحْرَاءَ مُوْحِشَةٍ ، إذ بَدَأَتِ الشَّمْسُ بالمَغِيبِ ،

---

(١) الراهب: هو إنسان عابد، يعتكف في صومعة أو مغارة ، ويتعبّد الله على طريقة النصارى.

وراحَتِ الغُيومُ تَتَجَمَّعُ، بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، ولمَّا أَرْخَى الليلُ بِظَلامِهِ على أَرْجَاءِ المَعْمُورَةِ.. انْخَفَضَتْ درجةُ الحَرارةِ، وهَبَّتْ رياحٌ عاتِيةٌ سَبَّبَتِ الفَوْضَى والاضْطِرابَ.. حَيْثُ الغُبارُ الكَثِيفُ.. والرِّمالُ المُتَناثِرةُ... والأَمْطارُ الغَزِيرةُ.. والبَرْقُ والرَّعْدُ..

فقالَ واحِدٌ مِنْهُم: انْظُروا كيفَ أَطْبَقَ بنا من كلِّ مكانٍ، فإلى أين الذَّهابُ... وإلى أَيْنَ المَلْجَأُ؟!.

والْتفَتُوا يَمْنةً ويَسْرَةً.. وصَعَّدوا النَّظَرَ نحو السَّماء.. فلم يَرَوْا إلاّ المَطَرَ والظَّلامَ.. وأَحَسُّوا بالهَلاكِ..!!

لكنَّ واحِداً منهم قال: تعالَوْا لنأوِيَ إلى ذلكم الغَارِ.. فَنَبِيت فيه حتَّى يَأْذَنَ اللهُ بِالفَرَجِ..

وبالفِعْلِ، هَرَعُوا إلى الغَارِ واخْتَبَؤُوا فيه..

لكنْ ما إن جَلَسُوا لِيستَرِيْحُوا.. حتَّى سَقَطَتْ صَخْرَةٌ عَظِيمةٌ سدَّتْ فَمَ الغَارِ.. فَقَامُوا إليها.. وحاوَلُوا رَفْعَها.. لكن لم يُفْلِحُوا..

وخَيَّمَ الحُزْنُ عليهم... ماذا يَفْعَلُون.... وكيف يَخْرُجُونَ من هذا الغَارِ؟

يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُم بالاسْتِغاثَةِ؟!

لكنْ لو فَعَلُوا لك فإنَّهُ لا أَحَدَ يَسْمَعُهم..! إذاً ما هُوَ الحَلُّ؟

قالَ أَوْسَطُهم: تعالَوا نَتَذَاكَرْ صالِحَ أَعْمَالِنا ، فَنَتَوجَّه إلى اللهِ تَعالى بها ، راجِينَ من الله الفَرَجَ والتَّوْفِيْقَ..

رِضا الوَالِدَينِ

وقَدَّمَ الأَوَّلُ ما عِنْدَهُ من صَالِحِ العَمَلِ ، فقال:

يا رَبَّ العالَمِيْن! إنَّكَ تَعْلَمُ أنَّه كان لي أَبَوانِ شيْخانِ كَبيرانِ ، وكنتُ أَبرُّهُما ، ولا أُقَدِّمُ عليهما المَالَ والوَلدَ.

وفي كُلِّ مساءٍ كُنْتُ أَحْمِلُ لهما الحَلِيْبَ لِيَشْرَبَاهُ هَنِيئاً..

لكنْ ذاتَ لَيْلَةٍ حَلَبْتُ الأَغْنَامَ ، وحَمَلْتُ الحَلِيْبَ إليهما ، لكن وَجَدْتُّهُما قَدْ نَاما... فَحَزِنْتُ لذلكَ... وتَردَّدتُ: أَعُوْدُ ومعي الحَلِيْبُ إلى حيثُ الأَبْناءُ والزَّوجةُ؟ أم أَنْتَظِرُ والديَّ حتّى يَسْتَيْقِظَا..؟

وقَرَّرْتُ الانْتِظارَ..

وبقيتُ على تلك الحَالَةِ.. وأَوْلادِي يَصْرُخُون مِنَ الجُوعِ.. وأنا أقولُ: أَبَوايَ أَوَّلاً ، ثم أولادي وزَوْجَتي ، ثمَّ أنا..!

ولمّا اسْتَيْقَظَ والدي اقْتَرَبْتُ منه ، وأَلْقَيْتُ عليه السَّلامَ.. فَردَّ بتحيةٍ أَحْسَنَ.

ثمَّ اسْتَيْقَظَتْ والدتي... فَشَرِبا الحَلِيْبَ ، ثمَّ حَمدا اللهَ تعالى..

اللَّهُمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابْتِغاءَ وَجْهكَ ففرّجْ عنّا ما نحنُ فيه من هذه الصَّخْرةِ».

قال: فانْفَرَجَتِ الصَّخْرةُ قليلاً ، لكنْ دُونَ جَدْوى.

فلم يَسْتَطِيعُوا الخُروجَ مِنَ الغار ، ولذلك كان لا بُدَّ من الإكثارِ من الدُّعاءِ والتَّقرُّبِ إلى الباري سُبحانه وتعالى.. ، هَيَّا يا صديقي.. اطلبِ الدُّعاءَ من الله تعالى بصالحِ أعمالِكَ عسى أن يُفَرِّجَ عنا ما نَحْنُ فيه..

تركتُها.. خوفاً من الله تعالى..

وقال الثَّاني:

يا رَبَّ العالمِينَ! إنكَ تَعْلَمُ أنَّه كانتْ لي ابْنَةُ عَمٍّ ، وكانتْ أحبَّ النَّاسِ إليّ ، وذَاتَ مَرَّةٍ طَلَبْتُها لنفسي فَرفَضَتْ وامْتَنَعَتْ..

حتَّى إذا ما كانتْ سَنَةُ جُوعٍ اضْطرَّتْ إلى طَعامٍ.. فجاءتْ إليَّ وطَلَبَتْ مني ثَمَنَ الطَّعامِ ، فوافقتُ بِشَرْطِ أن تُمَكِّنَني من نَفْسِها.

فقالتْ لي: وَيْحَكَ يا هذا ، ألا تخافُ اللهَ رَبَّ العالمينَ...

فانْتَابَتْنِي رعْشَةٌ وَخَوْفٌ ، وما تَمالَكْتُ نفسي عن البُكاءِ، فَقُمْتُ إلى البيتِ وأَعْطَيْتُها ما تريدُ.. ، فخرجتْ راضِيةً مَرْضِيّةً...

«اللَّهُمْ إِنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وَجْهِك فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه».

قال: فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرةُ قليلاً.. ، غيرَ أنَّهم لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ من الغارِ.

وبقي الثَّالثُ ، فقال الثَّاني: هَيَّا يا صديقي ، لقد حانَ دَوْرُكَ في التَّقَرُّب إلى الله تعالى... فهات ما عِنْدَك من صالحِ العَمَلِ..

لا تَسْتَهْزِئْ بِي يَرْحَمُكَ اللهُ!!

فقالَ الثَّالثُ:

«اللَّهُمَّ إنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَراءَ ، وأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ ، غير رَجُلٍ واحِدٍ تَرَكَ الذي له وذَهَبَ ، فَثَمَّرتُ أَجْرَهُ حتَّى كَثُرَتْ منه الأَمْوَالُ ، فجَاءَني بَعْدَ حِينٍ ، فقال:

يا عَبْدَ اللهِ! أدِّ إليّ أَجْرِي ، فقلتُ: كُلُّ ما ترى هُوَ من أَجْرِكَ: من الإبِلِ وَالبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقِيْقِ.

فقالَ: يا عَبْدَ اللهِ! لا تَسْتَهْزِئ بِي.

فقلتُ: لا أَسْتَهْزِئُ بكَ.

فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ ، فلم يَتْرُكْ مِنْهُ شيئاً.

«اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه».

وهَكَذَا انْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ بِإِذْنِ اللهِ ، فَخَرَجُوا من الغَارِ يَضْحَكُونَ.. ورَدَّدُوا قَوْلَ اللهِ تَعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ